شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للاستاذ عبدالقادر رشيد الناصرى

— ٢ —

اطلع القراء فى العدد السابق من الرسالة الغراء على درة من درر شوق التى تجمع إلى أخواتها فى دواوينه الأربعة المطبوعة ولم تضم إلى شعره المتداول بين أيدى القراء فى جميع البلدان الناطقة بالضاد ، وكنت وعدتهم فى ذيل مقالى السالف أن أقدم لهم فى هذا العدد شوقية أخرى من تلك الشوقيات الفذة التى لم تتفتح عنها غير قريحة أبى على ، وهذه القصيدة الجديدة عثرت عليها فى مجلة أدبية قديمة يرجع تاريخ صدورها إلى سنة ١٩٢٨ أيضاً. أما اسم المجلة فلا أعرفه لأن أكثر صفحاتها الأولى والأخيرة كانت ممزقة ، وأما كيف عثرت عليها فتفصيل الخبر أنى كنت فى يوم من الأيام فى سوق الوراقين ببغداد أنقب بين الصحف القديمة التى تعرض للبيع بالأكوام فلفت نظرى صديق إلى مجلة ممزقة كانت بين يديه وهو يشير إلى بعض بحوثها فلما أخذتها منه وتصفحتها عثرت فيها على قصيدة أميرنا مدرجة . وكم كان سرورى عظيما عندما راجعت دواوينه فلم أعثر لها على ذكر ! فقلت فى نفسى هذه هدية قيمة لا تستحقها إلا مجلة الأدب الرفيع والشعر الخالد حيث تقدمها إلى أبناء العروبة

والقصيدة كما يراها القراء لا تختلف فى كثير أو قليل عن شعر شوق من جميع النواحى ، فالديباجة ديباجته ، والأسلوب أسلوبه ، والنفس واحد ، والصور والتراكيب والتعابير والموسيقى اللفظية واللفتة الشعرية البارعة كلها له ، وهى فوق كل هذا قصيدة عالية مشرقة بالرغم من أنها من بحر الرمل ، ذلك البحر الذى لا يجيد فيه من حيث متانة تركيب الأبيات إلا القادر من فحول الشعراء . ولا أذكر أنى — على كثرة قراءاتى للشعر — وقفت إلى شاعر نظم قصيدة من بحر الرمل وأجاد فيها أو أظهرها بديباجة متينة اللهم إلا شوق ، لأن هذا البحر على الرغم من سهولة النظم فيه لابد أن تأتى القصيدة فيه ركيكة مهلهلة الأبيات كما يحدث عند الكثير من الشعراء . لذلك يتجنب الفحول النظم فيه على العكس من البحور الأخرى كالكامل والوافر والبسيط حيث تأتى الأبيات قوية التركيب متينة الأبيات كأنها البنيان المرصوص . وأذكر أننى فى بدء نظمى الشعر كنت لا أقوله إلا على بحر الرمل لسهولته، ولكننى تركته بعد ذلك ولم أعد ألجأ إلى النظم فيه إلا ما ندر ؛ حتى الموشحات الغنائية التى أكثر من النظم فيها فإننى أترك الرمل وألتزم مجزوءه — نظرا للايقاع الموسيقى الذى فيه والجرس الراقص ، أما شوق فهو حتى فى هذا البحر يبدع ويجيد — خذ مثلا قوله

ارفعى الستر وحيى بالجبين ... وأرينا فلق الصبح المبين

واتركى فضل زماميه لنا ... نتناوب نحن والروح الأمين

ألا يرى معى القارئ القوة والمتانة التى تتخلل الأبيات على سهولتها وعذب موسيقاها ؟ أيستطيع أحد مهما بلغ من المقدرة البيانية والبلاغية ومطاوعة اللغة والقوافى له أن يضع لفظة بدل أخرى !! أنا أشك فى ذلك لأن الفحول من الشعراء عندما ينظمون حتى على هذا الوزن لا يتركون فيما يقدمونه مغمزا لناقد فيه ! وهكذا الحال عند شوق على خلاف غيره من شعراء عصره

قد يطول بنا القول إذا نحن قارنا بينه وبين غيره لأن المفاضلة والموازنة تحتاج إلى إيراد أمثلة تخرجنا عن الموضوع الذى نطرقه الآن ، لذلك نترك ذلك الحديث إلى مجال آخر وعسى أن يكون ذلك فى القريب

قلت فى بدء الكلام إن القراء تشوقوا فى العدد الماضى عطرياقة من أزهار أبى على . ويسرنى الآن أن أتحفهم بإضمامة أخرى قطفتها لهم من روضته وهى كما يرون نغمة عبقة كل شعره القطر الندى ، تزول جدة الدهور ولا تزول جدتها ، فان كان الورد لا تتفتح أكمامه إلا فى الربيع ولا يعبق نشره إلا فى أيار، فان شعر شوق فواح الأريج فى كل الفصول . فلنستأنف إذاً شذاه المواز

الشوقيـة الثانية

وهذه القصيدة الثانية قالها شوقي في جمعية الشبان المسلمين حيث ألقيت في حفلتها التي أقيمت بدار الأوبرا الملكية في ١٤ شوال من عام ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

لم يضع صاحب المجلة عنواناً للقصيدة ولم يذكر المناسبة التي قيلت فيها ولكن القارئ يدرك من فحواها أنها نظمت لأجل جمع الإعانة لدار الأيتام التي قامت ببنائها الجمعية المذكورة على حد قوله :

ياشبابا حنفاء ضمهم منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى وينجيهم من المرعى الوبيل

أو قوله

رب عرس مر للبر بما ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته ومشى يستروح البر العليل
والقق البائس والنعمى به وسمى المأوى لأبناء السبيل

ومن أحق بالرعاية من اليتامى وأبناء السبيل ؟ ومن غير شوقي من شعراء عصره يستطيع أن يلهب أكباد الأثرياء حماسة ويضرب على المواطن الحساسة من شعورهم فيجودوا لهذا المشروع النبيل بالمال عن طيب خاطر ؟

إذن لنستمع إلى صناجة القرن العشرين وهو يوقع على أوتار قيثارته أغاريد الخير والحق والحنان ، في أسلوبه الموسيقي المشرق ونغماته العذاب إذ قال في ...

مهرجان اليتيم

هيذا الساحة والظل الظليل وثناء في فم الدار جميل (١)
لم تزل تجزى به تحت الثرى لجة المعروف والنيل الجزيل
صنع « إسماعيل » جلت يده كل بنيان على الباقي دليل
أتراها سدة من بابه فتحت للخير جيلا بعد جيل

* * *

ملعب الأيام ، إلا أنه ليس حظ الجد منه بالقليل
شهد الناس به « عائدة »
وشجى الأجيال من « فردي » هديل (٢)
وائتلفنا في ذراها دولة ركنها المؤدد ، والمجد الأثيل
أينعت عصرا طويلا وأتت دون أن تستأنف العصر الطويل
كم ضفرنا الغار في محرابها وعقدناه لسباق أصيل
كم بدور ودعت يوم النوى وشموس شيعت يوم الرحيل

* * *

رب عرس مر للبر بما ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته ومشى يستروح البر العليل
والقق البائس والنعمى به وسمى المأوى لأبناء السبيل
ومن الأرض جديب وند ومن الدور جواد وبخيل

* * *

يا شبابا حنفاء ضمهم منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى وينجيهم من المرعى الوبيل
اذهبوا فيه وجيئوا أخوة بعضهم خدن لبعض وخليل
لا يغرنكم قلته كل مولود وإن جل ضئيل

* * *

أرجفت في أمركم طائفة تهم الظن عن الإنصاف ميل (٣)
اجعلوا الصبر لهم حيلتكم قلت الحيلة في قال وقيل
أيريدون بكم أن تجمعوا رقة الدين إلى الخلق الهزيل ؟
خلت الأرض من الهدى ومن مرشد للنفس بالهدى كفيل
فترى الأسرة فوضى وترى نشأ عن سنة السبريل
لا تكونوا السيل جهما خشنا كالعاب ، وكونوا السلسبيل
رب عين سمحة خاشعة روت المشب ، ولم تنس النخيل

* * *

لا تماروا الناس فيما اعتقدوا كل نفس بكتاب وسبيل
وإذا جئتم إلى ناديكم فاطرحوا خلفكم العبء الثقيل

* * *

١ — الدار يقصد بها الأوبرا الملكية

٢ — عائدة — أسطورة مصرية قديمة مستقاة من تاريخ مصر وقد نظمها مصرحية غنائية ووضع ألحانها الموسيقار « فردي » الايطالي

٣ — ميل = الانحراف عن جادة الصواب